رسائل ثقافية

الجمهورية العربية المتحدة : من سهير القلماوي

درج المجلس الاعلى لرعايـــة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالجمهورية العربية المتحـدة على اقامة مهرجان للشعر كل عام ،يكون فرصة مناسبة لدراسة تيارات الشعر الحديث ومشاكله واستعراض خير الجديد في انتاجه،وتتويج بعض الشبان بجوائز السبق في مضماره ، كما يكون فرصـــة لتلاقي الشعراء على مفاهيم الحياة والمجتمع والفن .

واقام المجلس ثلاثة مهرجانات كانت كلها في دمشق ابان الوحدة بين مصر وسوريا . وفي كل مرة كان يحتفل بذكرى شاعر قديم آخر ايام المهرجان فتلقى عنه البحوث ويلقى شعره المناسب ، كما حدث لابي تمـــام سنة ١٩٦٠ وللبحتري سنة ١٩٦١ وان لم يتم الاحتفال به بعد اعداد البرنامج لذلك .

وفي هذا العام اقيم المهرجان الرابع في ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) في ثغر الاسكندرية ، وخصص اليومان الاخيران لدراسة احمد محرم والمازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم، كما خصصت الايام الثلاثة الاولى « للشعر الجديد» . وقدمت بين يدي جمهور المهرجان ثلاثة ابحاث دارت كلها حول موضوع المهرجان هـــذا العام وهو « الشعر الجديد » او « حركة التجديد في الشعر العربي والغربي المعاصر » . كما القيت ابحاث عن احمد محرم والمازني وعبـــد الرحمن شكري . ثم مثلت محافظات الجمهورية كل منها بشاعر ، والقى الشعراء المشهورون بصفتهم الشخصيـــة اشعارهم الجديدة (اما مؤلفـــة بمناسبة المهرجان او مؤلفة بمناسبة اخرى ولم تنشر بعد) . وقد شهد المهرجان ممثلون عن الجزائر واليمن والبحرين ولبنان وغيرها من البلاد العربية والقى بعضهم كلمات والبعض الآخر قصائد .

والملاحظة الهامة التي خرج بها النقاد في هذا المهرجان هي ارتفاع مستوى الابحاث عن مستوى الشعر عامة . وعزوا ذلك الى ان لجنـــة الشعر بالمجلس لم تتح الفرصة للشعراء المجددين في الاوزان لان يشاركوا بقصائدهم ، وان تكن قد اذنت لهم في عام ١٩٦٠ ان يشاركوا بشعر موزون مقفى على النحو القديم . ولقد نظم الشعراء آنذاك قصائدهم تحديا لمن يتهمونهم بأنهم انما يلجأون الى الاوزان الجديدة هربا من صعوبات الوزن ؛ ولعلهم استكفوا بذلك الرد ثم عافوا ان يكلفوا طباعهم ما لا قبل لهم به فلم يعاودوا التجربة من جديد .

ومن اهم القصائد التي القيت في المؤتمر ولاقت استجابة قوية من الجمهور (الذي برهن على تعطش فني شديد وتقدير حسن جداً للجيد من الشعر) قصيدة الشاعر عزيز اباظة عن شوقي بمناسبة اقامة تمثال له في حدائق اليجيري في روما . وقـــد برر القاءها في المهرجان بأن الزمان ، تشرين الاول (اكتوبر) ، هو الشهر الذي توفي فيه شوقي ،

وبن الاسكندرية ، « عروس البحر » ، الهمت شوقي كثيرا من ابياته . وفي اليوم الاول بعد القاء قصيدة عزيز اباظـــة القى مندوب اليمن قصيدة كلاسية قوبلت في الظروف الراهنة بالاستحســـان والحماس . ولكن قصائد الشبان الفائزين الثلاثة كانت هي ايضا موضع استحسان وحماس وخاصة قصيدة الشاب محمد أمل دنقل بعنوان « طفلتها » . والقصيدة تمتاز بعاطفة حزينة قوية وبصور واقعية موحية وبموسيقى مناسبة لاحداثها التي كانت حلما عريضا هادئا ثم انطفأ فجأة ، وقافيتها مناسبةلهذه القطعة المفاجئة في حياة حب العاشقين .

اما الشابان أنس داود ومحمد عادل سليمان فقد فاز اولهما بالجائزة الاولى والثاني بالثالثة ، لان دنقل فاز بالجائزةالثانية . ولو كان الحكم للجمهور لـكانت الجائزة الاولى من نصيب دنقل .

وتوالى يومان يقدم في كل منهما مجموعـــة من الشعراء شعرهم . ومن اشهر من قدم احمد رامي وكامـــل الشناوي (الذي قوبلت مقطوعاته من « اوبريت جميلة » التي يخرجها الآن بغاية الاستحسان) وعبد الرحمن صدقي وكامل الصيرفي ومحمود حسن اسماعيل وعلي الجندي ومحمد التهامي وعوضي الوكيل والماحي والنشار .

وقد مثل الجنس اللطيف (ولا ادري لماذا) طائفة من الشاعرات : جليلة رضـــا ونجاة شاور وروحية القليني ونسرين عبد الحي وشريفة فتحي ولورا الاسيوطي ، وكان شعرهن في اكثره نظما مدرسيا ، وكثر النقاش حول مؤلف هذا الشعر من يكون : الشاعرة ام ألفه لهـــا الغير . والامر لا يدعو الى نقاش في الواقع ، لان مستوى الشعر النسائي في هذا المهرجان لم يكن يستحق اي اهتمام. ولعل المستوى العام كان كذلك ، لولا نفحات من بعضهم كانت تأتي كالغيث للظمآن .

اما الابحاث فقد اثارت كثيرا من النقـاش والجدل لانها تتعلق بصلب المعركة بين المجددين المحدثين وبين انصار الشعر القديم او عامود الشعر العربي . وكان بحث الاستـــاذ عباس محمود العقاد بالذات اكثر هذه الابحاث اثارة للتعليق ، للرأي الجديد او للموقف الجديد الذي اعلنه العقاد فيهذا البحث مما اخذه اكثرهم على انه تحول في موقفهمن الشعر الجديد . ولما كان محور الخلاف بين القديم والجديد هو بنية القصيدة من حيثالوزنوالقوافي، فقد دار بحث الاستاذ العقاد كما دار بحث كاتبة هذه « الرسالة » حول هذه النقطة الرئيسية .

وقد اكد الاستاذ العقاد « ان فن الشعر عندنا هو الفن الوحيد بين فنون الشعر العالمية الذي يقبل التجديد وهو باق على قوامه الاصيل . ان التجديد في البنية الحية هو التطور الذي يزيد في عملهـــا واستعدادها ولا يخل بكيانها او يعتبر كيانا آخر مخالفا لذلك الكيان ، وبهـــذا المعنى لا يوجد في آداب العالم فن يقبل التجديد غير فن الشعر في اللغة العربية او لا يوجد فن للشعر مستقل بقوامه لا يتوقف على فنون الغناء او الرقص او التمثيل غير فن القصيدة العربية » .

ثم قارن الاستاذ العقاد بين الاوزان اوالمقاييس في الشعرين العربي والغربي ، ضاغطا على فكرة استقلال الشعر العربي عن الفنون الموسيقيـــة الاخرى ، مؤكدا « ان الوزن اصيل في تركيب كلمات اللغة العربية من المشتقات وغير المشتقات وقد انتظم فيها الاشتقاق بتقدير معانيـــه حسب اوزانه انتظاما لا نظير له في اخواتها السابقة » ، مبينا بالامثلة كيف ان اختلاف الحركة او اختلاف المد والسكون على الحرف يغـــير من المعنى في العربية ، بينما اختلاف نطق الحروف الخفيفة في اللغات الاخرى من كلمة لاخرى لا يؤدي الى شيء في المعنى ، شارحا فكرة ان الفن قاعـــدة « ولا يوجد فن يتساوى في ايجاده الفنان وغير الفنان لسهولته ولا معنى لكلمة فن ان خلت من قدرة خاصة بها تتجلى فيها الملكة المطبوعة » ، ثم

ينهي بحثه بقوله :

« وان احرى الناس ان يحتفظوا بفن من فنونهم لهم اناس بلغ هذا الفن عندهم مبلغه من الجودة والوفاء (العرب) واصبح لهم مزية ينفردون بها بين الامم الانسانية جمعاء ، فان الامم لا تستوفي التام في مزية من مزاياها لتنقضها وتلغيها وتمحوها من الوجود ابدا لغير ضرورة ، بل حقيق بها ان تحتمل الضرورات لتحتفظ بها وتصونها وهي ثمن الجمال الذي لا بد له من ثمن . »

ومع ان البحث كان ادق من ان يُستوعب اثناء القراءة الاولى فان ذلك لم يمنع التعليق الكثير ، وقد ظهرت لذلك الرغبة بين الاعضاء ان تكون في مهرجانهم القادم حلقات لمناقشة الآراء حول الشعر .

اما بحث هذه الكاتبة فقد تناول المشكلة من حيث تشخيص ماهية الوزن الجديد ، « الشطر الواحد » « والتفعيلة الواحدة » . وقد دعت دعوة حرية بالمناقشة ، وهي ترك التفعيلة كوحدة والتعامل بمقياس السبب والوتد ليس غير ، زاعمة ان صغر الوحدة في القياس الوزني هو الذي اتاح لشعراء الغرب ان يتفننوا في آفاق الشعر دون احساس بوطأة الوزن ؛ ولكنها اكدت ان الموسيقى جزء من الشعر لا يكون بدونها ، وان الموسيقى في القصيدة معناها تصميم هندسي معين ، « وليكن لكل قصيدة تصميمها الخاص بها ، ولكن لا بد من التصميم لتكون هناك قصيدة » . واشارت الى معنى القصيدة لغة وما يحمل في طياته من معنى التصميم واستهداف غاية ؛ وضغطت على ان موسيقى الشعر لا يجب ان تتوفر فحسب ، وانما « لا بد من ان تتوفر في وضوح حتى لا يشغلنا تلمسها عن الصور والافكار والعواطف والمعاني . »

واهم ما امتاز به البحث هو محاولة رسم المشكلة في ضوء جديد وتلمس عروض جديد لشعراء الشطر الواحد والتفعيلة الواحدة . وقد اكدت الباحثة ان هذا في الواقع هو انطلاق في نفس الخط والاتجاه الذي انطلق فيه الشعر المجدد منذ وجد في العربية شعراء يجددون . وطافت بمحاولات التجديد مبينة انها كلها تهدف الى تفكيك البحر الى وحدات اقل والى التخلص من وقفة القافية الجبارة الحاسمة بايجاد اطوال تختلف للجملة او للبيت ، وان التفعيلة المكررة تعويض موسيقي عن القافية المنوعة . وانعدام القافية عيب في الشعر ولا شك ، ولكن التزام القافية الواحدة « وقد اسرع نبض الحياة سرعة لم تعرفها من قبل » اصبح ايضا مستحيلا « ولا ملجأ الا في التنوع المهندس . »

واخيرا تساءلت قائلة : « لو كان هناك شاعر عبقري يستعمل الوزن الحديث لفرض وزنه ، ولكن هل هيأنا الجو لظهور هذا العبقري ؟ »

ويأتي بحث الدكتور زكي نجيب محمود مكملا للصورة ممعنا ابعادها ، ليعرض صورة التجديد في الشعر الانكليزي والامريكي كنموذج للشعر الغربي عامة . وهو في مبدأ بحثه غير معترف بالمصطلح « تجديد » ، وانما هو يسميه « الجديد » ، لان الجديد لا يلغي القديم ولا يمسه وانما يضيف اليه شيئا جديدا ، « فظهور المتنبي لا يستلزم ان يزول امرؤ القيس » ، كما يقول . وبعد ان عرّف مهمة الشعر ، وهي « ان يتصيد الشاعر من اللاشعور حقائق يحس وجودها في ذاته فيصوغها لفظا لينقلها الى مجال الشعور الواعي ، عندئذ يستطيع ان يشاركه فيها من اراد ان يشاركه » ، يقول عن الجديد : « ويكون الشعر جديدا لانه تناول من خاطرات النفس ما لم يكن قد تناوله سابقوه ، لانه وليد تغير مجرى الحياة واحداثها . »

ولقبول الشعر الجديد يشترط مبدأين : « اولهما ان يكون قد جاء ليصوغ حالات لم تخرج من قبل الى عالم الصياغة اللفظية ، وثانيهما الا تكون هنالك وسيلة اخرى غير الشعر لقيد تلك الحالات الجديدة ، اذ انه لا مسوغ يسوغ لنا ان نفرض على انفسنا قيود الصياغة الشعرية في حالات يكفيها النثر . »

ثم ينظر في الادب الانكليزي والامريكي

المعاصر نظرات ثاقبة ، مبيناً هذه الاحوال الجديدة التي طرأت على الفكر الانساني والوجدان الفردي فأوجبت الشعر الجديد من بعد الحرب العالمية الاولى الى الخمسينـــات من القرن العشرين . ويختم بحثه بتلخيص نظرة النقد العالمي الى الشعر .

ولقد قدمت ابحاث خاصة بأحمد محرم وبالمازني وبعبد الرحمن شكري وبخليل شيبوب : (وستقيم محافظة البحيرة مهرجاناً للشاعر احمد محرم في ٢٠ كانون الثاني ، يناير ، لانه من مواليد هـذه المحافظة) .

وقدم الشاعر عبد الرحمن صدقي والدكتورة نعمات فؤاد بحثين عن المـازني ، الاول عن صلة الشاعر به ، مبيناً من خلالها بعض خصائصه الشخصية والفنية ، والثاني دراسة عنه عنوانها « فن الصورة في ادب المازني » . وللدكتورة نعمات مؤلف مستقل عن المازني هو رسالتها لنيل درجة الماجستير في الآداب منذ اعوام ، ولكن بحثها يضيف جديداً واضحاً . وقدم الاستـاذ نقولا يوسف بحثاً عن « عبـد الرحمن شكري في ايامه الاخـيرة » ، والمعروف ان الشاعر انطوى على نفسه زماناً ثم خرج وشارك في بعض المجلات ثم عاد فانطوى ، فكانت هذه الدراسة مجلية لبعض الحقائق عن هذه الفترة من حيـاة الشاعر . وقدم الاستـاذ صديق شيبوب دراسـة عن شقيقه خليل شيبوب شاعر اللاذقية المعروف . كما قدم الاستاذ محمد مفيـــد الشوباشي كلمة عجلى عن شعر عبد الحميد السنوسي وحسن فهمي وزكريا جزارين . والبحثان الاخيران يمتازان بالسرعة والسطحية ولا يكادان يؤديان غرضاً واضحاً لا في الدراسة ولا في عرض نماذج الشعر .

كل هذا ان دل على شيء فانما يدل على تقبل الجمهور للشعر الجيد وتذوقهم للدراسات من حوله ، بما لا يدع للشعراء عذراً في عدم عكوفهم على فنهم وعدم تضحياتهم في سبيل تجديده ، كما يدل على ان الشعر للجماعة غذاء لا يمكن ان تستغني عنه حتى في عصر الصواريخ وغزو الفضاء .

أمريكا : من روبي مكولي

تميل امريكـا في امر الجوائز الادبية الى ان تكون اقل التواء وغشا من معظم الدول الاوربية . فالالاعيب التي يلعبها الفرنسيون بجوائزهم المختلفة تأخذ في امريكا شكل براعة اعلانية ودعائيـة لفائدة الناشر ، ولا يأخذها القارىء مأخذ الجد . ولا تزيد المكافأة التي تحملها جائزتنا الرئيسية — جائزة بوليتزر — عن ٥٠٠ دولار ، وقد اشتهرت هذه الجائزة لما يرتكب مانحوها من اخطاء ، اكثر من اشتهارها لما يمنحونه عن طريق الصدفة لذوي الجدارة والاستحقاق .

ومع هذا فلا تزال هناك جائزة كبرى تحظى بمقدار هائل من الاحترام ، هي جائزة نوبـــل الادبية — اذ ان معظم الناس سرعان ما ينسون اخطاءها ، او انهم يجهلونها ، ويتذكرون اسمـــاء الفائزين الجديرين امثال طوماس مان وجيد وهمنغوي وفوكنر ، لا اسماء هنريك بونتوبيدان او بيرل بك او سلفدور كزيودو . لهذا فقد جاء القرار بمنح جائزة نوبل عام ١٩٦٢ لجون ستاينبك بمثابة صدمة لمعظم رجال الأدب .

وقد بدا هذا الاختيار الغريب جدا لستاينبك اكثر غرابة عندما تبين ان لجنة نوبل اوضحت ان الجائزة قد اعطيت على اساس رواية له صدرت